الأهرام

المصدر : الاهـــــرام

التاريخ : ١٩ اغسطس ١٩٩٧

يلتسين واهتماماته الثلاثة

الشيشان.. جرح لم يندمل ومضاعفاته غائرة

شغل ويشغل الرئيس يلتسين وقيادة الكرملين أخيرا ثلاث مسائل احتلت مقدمة الاهتمامات الداخلية والخارجية والدولية.. هي:

١ ـ علاقة روسيا مع عمادة مسخادوف رئيس جمهورية الشيشان.

٢ ـ توتر العلاقات بين روسيا وبيلوروسيا (روسيا البيضاء) بسبب احتجاز بيلوروسيا عددا من الصحفيين والمراسلين الروس والبيلوروسيين.

٣ ـ مشكلات المحطات المدارية والفضاء ومؤسسة تسويق الأسلحة الروسية.

وقد استهل الرئيس يلتسين بحث المسألة الأولى منذ الاثنين ١٨/٨/٩٧ باستقباله للمرة الثانية أصلان مسخادوف رئيس جمهورية ورئيس حكومة الشيشان بعد انتخابه مباشرة وعلنية في شهر يناير الماضي.

ومع أن قوى شيشانية وقوفازية عديدة ألزمت في طلباتها مسخادوف في التشدد في مطالبه من يلتسين وبخاصة فيما يتعلق بالسيادة والاستقلال، إلا أن حسن استقبال يلتسين لمسخادوف في قصر الكرملين، مثلما يستقبل قادة الجمهوريات المهمة الداخلة في نطاق روسيا الاتحادية قد خفف من حدة الطرح الشيشاني.

ويلاحظ في اللقاء بأنه بقدر ما أرضى مسخادوف ذاتية يلتسين بالثناء عليه واعتباره المسئول الأساسي وصاحب القرار المرتقب حول علاقة روسيا بالشيشان أرضى يلتسين «كبرياء» مسخادوف بوصفه المفاوض الأشد رشدا وتعقلا ومسئولية. ومع أن يلتسين لم يشر بإفاضة لدور مسخادوف إلا أنه يدرك أن مسخادوف هو رئيس حرب المقاومة الشيشانية الباسلة والذكية. كما أنه الرئيس المنتخب والفائز بأكبر عدد من أصوات الشعب الشيشاني في الانتخابات الرئاسية في يناير الماضي، وبقدر ما أشار مسخادوف إلى أن علاقة الشيشان بروسيا هي علاقات «استراتيجية»، أي تمتد إلى المستقبل أشار يلتسين إلى أنه يدرس ـ حسب قوله حرفيا ـ «حرية أو استقلال الشيشان أو أي ما تسمى».

ولم يتردد يلتسين وسط دهشة البعض من وزرائه المتشددين في أن يسمي جمهورية الشيشان جمهورية «ايتشكيريا الشيشان» وهو الاسم المفضل للشعب الشيشاني.

ويقال في موسكو بأن يلتسين على استعداد لإجراء صفقة سياسية مع مسخادوف للحفاظ على استمرار استفادة الشيشان من خط أنابيب النفط الممتد من أذربيجان إلى الميناء الروسي «نوفوروسيسك» عبر أراضي الشيشان، وأن هذه هي الطريقة الوحيدة للتفاهم مع مسخادوف الذي على بينة جلية بأوضاع روسيا تاريخيا وفكريا واجتماعيا، بل وعسكريا من واقع أنه كان عميدا بالقوات المسلحة السوفيتية السابقة.

ويدرك يلتسين صعوبة وضعه فلو وافق على استقلال الشيشان بالكامل، فإن ذلك سيثير عليه القوميين الروس في البرلمان وفي الأحزاب كما قد يشجع جمهوريات عن الاتحاد الروسي بطلب مماثل، وإذا وقع على معاهدة تقضي بإنهاء الأشهر الـ ٢١ من القتال الضاري مع الشيشان، فإن ذلك يعني اعترافا ضمنيا أن علتيا بعدم قدرته على إجبار الشيشان على أن تكون مستقلا في قوام روسيا الاتحادية

ضرورة تجنب الضغط

ومن جانب آخر يعلن أصلان مسخادوف من موقعه كرئيس للجمهورية والحكومة الشيشانية أنه المسئول تنفيذيا

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

رسالة موسكو

عبد الملك خليل

وربما على المنوال نفسه اشار مسخادوف للقوى التي تحيط بيلتسين في قوام حكومة روسيا وتتوق لإيقاف توصل قيادة روسيا إلى صيغة تفاهم مع القيادة الشيشانية.

من هنا ولا مبالغة في القول بأن علامة إيجابية لاحت بوضوح لأول مرة منذ إنهاء حالة الحرب بين روسيا والشيشان في نهاية شهر يوليو ٩٦.

ومع أن القيادة الشيشانية سهلت عودة ثلاثة من الصحفيين الذين كانوا رهائن ومحتجزين في الشيشان قبل عودة مسخادوف للشيشان من موسكو، وربما تلبية لمطلب من يلتسين، فإن الإعلام الروسي التابع للمفرج عنهم شن حملة ضارية على مسخادوف وقيادته متهما مسخادوف بأنه «السجان الرئيسي» للمحتجزين لأكثر من ١٠٠ يوم.. وربما لم يراع مالاشنكو مدير الشركة التليفزيونية التي يتبعها الصحفيون الثلاثة المحتجزون الرابطة المستجدة بين يلتسين ومسخادوف، كما لم يصدق ما قاله مسخادوف نفسه بأنه كان يشعر بالعار لعدم التمكن من الإفراج عن الصحفيين المحتجزين، وأنه كرئيس للشيشان قد أصدر مرسوما في الشيشان في اتخاذ أشد الإجراءات تحقيقا وصرامة من أجل الإفراج عن الصحفيين الرهائن.

وبغية أن يظهر دوره قال مالاشنكو بأنه قد دفع مبلغا «دية» للشيشانيين بغية الإفراج عن الصحفيين الثلاثة.

وتصدى مولادي أودوجوف من «قيادة الشيشان» مالاشنكو أن يقدم دليلا على صدق دعواه بدفع دية للإفراج عن الصحفيين الثلاثة. ولعل ما سلف عجل بعقد اجتماع مجلس الأمن القومي الروسي الذي ترأسه يلتسين يوم الأربعاء ٢٠ أغسطس، وقد استهله الرئيس يلتسين بحديث غاضب وساخط على ما قاله مالاشنكو، رئيس مجلس إدارة الشركة التليفزيونية الروسية، وما أضافه عليه الميليادير اليهودي بوريس بيريزوفسكي نائب سكرتير عام مجلس الأمن القومي. وفي الحديث الغاضب اتهم يلتسين الثلاثة بالجهل المطبق عما يجرى في الشيشان، وقال: «لقد تسرع هؤلاء واتهموا القيادة الشيشانية بعد اجتماعي بها.. إنهم لا يدركون تفاصيل الأمور كما أفهمها أنا بالتفصيل» منوها بذل إلى أن انتقادات هؤلاء للقيادة الشيشانية وزعمهم بتواطؤها في احتجاز الصحفيين الثلاثة نظير دية يقلل من قدر رئيس روسيا، لأنه قد تباحث لتوه مع مسخادوف، وطالبه الشيشاني.

اختفاء مليارات الروبلات

ويدهش الإنسان طويلا عندما يعرف أن عدم النظام وصل إلى مستوى أن يؤكد إيفان ريبكين سكرتير مجلس الأمن القومي بأن الحكومة الروسية قد حولت إلى حكومة جروزني في الشيشان ٥٤٧ مليار روبل، بينما يعلن رئيس جمهورية وحكومة الشيشان أن هذا المبلغ مبالغ فيه، ويؤكد مدير البنك المركزي الروسي أن الشيشان لم تتلق سوى ١٧٦ مليار روبل، ويؤكد اسلام بك إسماعيلوف وزير البناء والتعمير بأن وزارته المتخصصة في إعادة التعمير والتشييد والبناء لم تتلق روبلا واحدا، أي أنها لم تتلق جزءا من المليم، إذا جاز استخدام تشبيه التعبير المصري.

ولعل التساؤل الجوهري الذي نحن بصدد التوصل إلى تحليله في تقديرنا يستند إلى الاعتبارات التالية:

اولا: أن يلتسين قد توصل بعد اجتماعه السالف بمسخادوف بأنه يمكن التعويل على التعامل مع مسخادوف، لأن بديل مسخادوف الفوضى والتوزع والتمزق، ويرجع ذلك إلى مكانة مسخادوف على نطاق الشعب وبين القادة الميدانيين الشيشانيين وكبار ضباط أركان الحرب والتخطيط والإمدادات بوزارة الدفاع بروسيا.

ولأن مسخادوف يدرك أهميته لدى يلتسين شرح له بأن تحديد صياغة العلاقات بين روسيا والشيشان في معاهدة أو اتفاق يعني الاستقرار في الشيشان، وأن الاستقرار بالشيشان يعني الاستقرار بشمال القوقاز، وأن استقرار شمال القوقاز يعني الاستقرار بجنوب روسيا وروسيا كلها.

دية من ٧ أرقام

أما الملياردير بوريس بيريزوفسكي اليهودي صاحب القناة التليفزيونية والشركات والمؤسسات والبنوك فقد قال أن الحكومة الروسية لا علاقة لها، مثل الحكومة الشيشانية، بإطلاق سراح الصحفيين الروس في الشيشان قبل عودتهم لروسيا. وأضاف بيريزوفسكي: «لقد دفعنا ثمن ذلك مبلغا بسبعة أرقام من الدولارات» أي ما لا يقل عن مليون دولار أمريكي، بما يعني أن بعض أعضاء الحكومة الشيشانية ضالع في تجارة الاختطاف». وأضاف بيريزوفسكي قائلا: «يجب ألا تقوم العلاقات بين روسيا والشيشان على النفاق..».

وكما اعترف يلتسين من قبل بأن خطأ عهده في حكم روسيا يتمثل في الحرب الروسية في الشيشان، فلا يغرب عن التقدير أن يكون سعيه لإقرار السلام في الشيشان أحد أهم مآثره.

ثانيا: بلا أدنى شك ناور ويناور الشيشانيون للحصول على المزيد من التعويضات المالية الروسية لإعمار وتعمير بلادهم، ومنها إلى انتزاع من حقوق السيادة ووضع دولة قبيل الاستقلال عن تعمير الشيشان، وأن أي تهديد أو ضغط على يلتسين والحكومة الروسية ما يفاقم من حدة العلاقات بحيث تصل إلى قطع التعويضات التي سلمت بها روسيا لتعمير الشيشان.

ومع أن بنائل لاحت في الآفاق غير الروسية لتعمير الشيشان، إلا أن تقدير مسخادوف لعلاقة الجوار وارتباط المصالح الاستراتيجية والجوار بين روسيا القوة الكبرى والشيشان، كما يؤكد ذلك بعظمة لسانه، هو ما قد يكون العامل الذي يجعله حاليا وربما مستقبلا يعول أكثر على روسيا، خاصة في المراحل المبدئية الأساسية والضاغطة لإعادة تعمير الشيشان.

يضاف إلى ذلك أن مسخادوف قد ناقش يلتسين في كل الأمور التي تشغل في العديد من الحالات، بما في ذلك وعد من يلتسين بدراسة مشروع المعاهدة الروسية - الشيشانية الرامية في الانتقام والقصاص لأكثر من ١٠٠ ألف قتيل من الشيشان.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ثالثا: اتضاح أن إدارة يلتسين ومؤسساتها مثل رئاسة الوزارة ومجلس الأمن القومي ووزارة الداخلية وإدارات الأمن الفيدرالي (المخابرات) وقيادة القوات العسكرية الروسية في القوقاز، ووزارة المالية كلها مجتمعة ومنفردة تعمل كما يحلو لها حتى مستوى تسليم مراسيم وقرارات الرئيس مع عدم تنفيذها، لأنها لا تتفق مع تطلعات وتقدير المنفذين، علما بأن يلتسين يشدد ويؤكد ويندد وينتقد مرؤوسيه وهم يصمتون لا يرون كأن طاعته واجبة.

رابعا: أن الرئيس يلتسين الذي شن الحرب ضد الشيشان وأمر بوقفها دون الرجوع للبرلمان، لا يزال يهوى ممارسة لعبة «الرجل الوحيد الفريد» في روسيا، مما يتيح له أحيانا تجاهل وازدراء حتى مؤسساته القريبة مثل مجلس الوزراء ومجلس الأمن ومجلس الدفاع وغيرها.. والمدهش صبر تشيرنوميردين رئيس الحكومة ومجلس الوزراء بعد العديد من تنديد وتقريع يلتسين لأداء حكومته، ومثاله لومه له ولمجلس الأمن القومي إزاء أحداث القوقاز وتقلباتها.

خامسا: إن قبول يلتسين ترشيح تشيرنوميردين لرمضان عبد اللطيفوف لتعيينه في منصب نائب رئيس الوزراء لشئون القوميات، قد يكون مؤشرا على رغبة يلتسين في التعرف من عبد اللطيفوف الداجستاني القوقازي على معضلات جنوب روسيا وقومياتها وشعوبها وعشائرها، كما قد يكون تعيين عبد اللطيفوف دلالة على ضعف مركز إيفان ريبكين سكرتير مجلس الأمن القومي.. ويرجح البعض أنه محاولة من يلتسين ليلعب بورقة القوقاز ضد القوقاز، إذ ان عبد اللطيفوف - المعروف في الدوائر العليا في مصر - على معرفة - بحكم انتمائه إلى داغستان - على القبائل والعشائر التي تؤيد مطالب فصائل الشيشان، وأيضا من هم ضد الشيشان عامة، إضافة إلى معرفة عبد اللطيفوف شبه اليقينية بشخصيات شمال القوقاز وجنوب روسيا.

سادسا: إن التنازلات الكلامية من جانب يلتسين أمام قادة الشيشان قد تكون بمثابة احتواء لطموحات الشيشان أو تحجيم مطالبهم وحصارها وتحديد مداها ومحاولة عدم تكرارها في أماكن أخرى على الأقل في روسيا بغية تهيئة الأجواء لاحتواء الأزمة، ومن ثم إجادة توجيهها الوجهة الروسية.

سابعا: سواء أدرك الرئيس يلتسين أو لم يدرك طبيعة وجوهر التقلصات في أحداث القوقاز، فإن الأمر الواضح يفضي إلى تزعزع النفوذ الروسي التقليدي في شمال القوقاز وفي مناطق ما وراء القوقاز. ويضيف أن تسوية الوضع يجب أن تتجاوب مع مصالح أمن روسيا القومي.. وتملك روسيا في هذا الشأن التعويل على إبداء التفهم من جانب الأسرة الدولية. وعلى خلفية ذلك اكتشفت وثيقة في جورجيا تفيد بأن تركيا العثمانية الأم ستمنح حقوق الحكم الذاتي إلى الجمهوريات الصغيرة التي هي تحت الحكم الروسي حاليا، أي شكيريا والشيشان وداجستان واوسيتيا وكباردينا بلقاريا وتاتارستان واوديجيا وكالميكيا وتوفا.. وأن ذلك سيكون في توسع تركيا في القرن الحادي والعشرين كما في الخريطة المكتشفة.. ومن تفاصيل الخريطة امتداد تركيا إلى الزربيجان وقزاخستان واوزبكستان وقيرجيزيا وتركمانيا وجورجيا وقبرص والبوسنة ومقدونيا في البلقان.. أي وزانة ليس فقط الجمهوريات التي كانت تؤسس ومن ضمن دول الاتحاد السوفيتي، بل الامتداد لانتزاع جمهوريات ومناطق من قوام روسيا الاتحادية حتى مستوى تفريعها مما تطلقه على نفسها من تسمية «الاتحاد الروسي».

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية